اتجاهات القصص
في شعر الرمادي يوسف بن هارون
المتوفى سنة 403هـ/1012م

د. إسماعيل عباس جاسم
الجامعة المستنصرية/ كلـــية الآداب

المستخلص:

يمثّل البحث محاولةً متواضعةً في دراسة ظاهرة إسلوب القصص التي يمكن للقارئ ان يتلمسها عند إدامة النظر في شعر الرمادي يوسف بن هارون وهي تاخذ إتجاهاتٍ مختلفة فـــي مادتهِ الشعرية وعلى وفق الموضوعات التي يطرقها في هذه المادة،كما أن هذه الظاهرة تختلف من موضوع لآخر فقد تكون هذه القصصية بسيطة تتعلّق بإسلوب الشاعر في عرض مادته هو لاسيما في الموضوعات الاعتيادية.وقد تكون موسومةً بالتركيز القصصي–الذي يكون قصصه مستمداً من موارد معيّنة–في موضوعات أخرى خاصةً تلك التي تستدعي حالة مـــن المجادلـــة والتبرير أو تقتضي درجةً عاليةً من المبالغة تصل الى حدِّ الغلو.

الدراسة:

في قراءةٍ متأنيةٍ لشعر الرمادي يوسف بن هارون يمكن للقـــارئ ان يتبـــين اتجاهـــات القصص وهي تؤطر عدداً غير قليل من نصوصه الشعرية على الرغم مما يؤخذ على الشـــعر العربي فقره في هذا الجانب[1].

ان جنوح الشاعر الى تقديم ضرب من الحكاية القصصية إنما يمثّل العنصر الاساس في الشعر الذي تكون فيه القصة غير واضحة كما هو الحال في القصة النثرية إذ تعتمد غالباً على الايماء كي يرتفع النص الى المستوى الشعري الحقيقـــي الـــذي يـــروّح فيـــه الشـــاعر عـــن نفسه[2]،ويبثث من خلاله آراءه وأفكاره لاسيما وان القصص يعدُّ(وسيلة من اكبر الوسائل لنشر النظريات)[3].

لقد عمد الشاعر الرمادي الى هذا النمط من الشعر لأن تلوين النص الشعري بـــالمنحى القصصي إنما يعدُّ واحداً(من الاساليب الشعرية)[4]المهمة التي تتيح للشاعر(ان يقصَّ أثر الحياة

في خيط مازال يحترق)[5] وهو يمتطي صهوة الالفاظ لاسيما وان الشعراء(هم أسياد اللغة وأصحاب الحق الاول في التصرف فيها)[6]لقد أخذ القصص في شعر الرمادي إتجاهاتٍ متعددة تبدو واضحةً إذ نجده يأخذ اتجاهاً وصفياً أو غزلياً أو مدحياً أو دينياً ولاحقاً تفصيل ذلك.

الاتجاه الوصفي:

يرى القدامى ان(الشعر الا اقله راجع الى باب الوصف ولا سبيل الى حصره واستقصائه)[7] ، والاصل فيه(الكشف والاظهار)[8].

لقد تجلى هذا الاتجاه بوضوح في جانب من النصوص الشعرية التي ضمّها مجموع شعر الرمادي وهو في مجمله يضم أوصافاً للطبيعة بأسلوب قصصي ومن ذلك قوله:[9](الطويل)

وخرساءَ الا في الربيعِ فإنّها نَظيرةُ قُسٍّ في العُصورِ الذواهِبِ
أتتْ تمدحُ النّوارَ فوقَ غُصونِها كما يمدح العُشّاقُ حُسنَ الحبائِبِ
تبدّلُ إلحاناً إذا قِيلَ بدِّلي كما بدَّلت ضرْباً اكفُّ الضَّوارب
تغنّي علينا في عروضينِ شعرَها ولكنَّ شعراً في قوافٍ غرائبِ
إذا إبتدأتْ تُنشِدكَ جِزاً وانْ تقلْ لها بدّلي تنشدْكَ في المتقاربِ
وليس لها تِيهُ الطُّراءِ بصوتِها ولكنْ تُغنّي كُلَّ صاحٍ وشاربِ

فالشاعر يقصُّ علينا في معرض الوصف حكاية ذلك الطائر المعروف بأم الحسن حين يصفه بالخرس على الدوام الا في وقت الربيع إذ تنحلُّ عقدة لسانه ويصبح خطيباً مفوّهاً بالاعتماد على ما يعرف بتشخيص وانسنة الطبيعة الذي يعنى به الشاعر الاندلسي(على نحوٍ إنساني تملؤه الحركة والنشاط)[10].

ان الرمادي يحكي لنا قصة هذا الطائر من طريق الوصف مبيّناً الهيئة المكانية له حين يقف فوق الغصون والهيئة الجمالية عندما يبدأ بالتغريد بأشكال متنوعة فيها من التطريب ما يُشنِّفُ أسماع كل صاحٍ وشاربٍ باسلوب قصصي تتوالى فيه الافكار بشكل متسلسل.

ويقف الشاعر الرمادي في قصص وصفي آخر معبراً فيه عن الجمال والخير حين يحكي لنا صورة السحابة السكوب وهي تسقي الارض وما ينجم من هذه السُّقيا من جمالِ طبيعةٍ وخيرٍ عميمٍ يبلغ ذروته عندما يعرس الروض وتتغنى فيه ام الحسن بأنغامٍ متعددةٍ في قولهِ:[11](رمل)

كستِ الارضَ بساطاً رائقاً بطنُها سدّاهُ الارضَ نسجْ
أخرجتْ أسرارها إذْ أخرجتْ رُبَّ سرٍّ أحرجَ الصَّدرَ خَرجْ

كمحـــبٍ ضَـــاقَ وجـــداً صـــدرُهُ فبدا ما كـــــانَ فـــي الصّـــدرِ إعـــتَلَجْ
صـــاحِ إنْ يبهجْـــكَ وجـــهٌ حَســـنٌ فلـــيكُنْ وجـــهُ الربيـــعِ المبـــتَهجْ
أعـــرسَ الـــروضُ ومـــــنْ قيناتـــهِ امّ مـــنْ خـــالفَ فـــي الاســـمِ السّـــمِجْ
تتغنّـــــى اوّلاً فـــــي رجـــــزٍ فـــإذا إمتـــدتْ تُغنّـــي فـــي الهـــزجْ

فالرمادي هنا يتلو صور الجمال المتلاحقة في معظم ابيات النص متخذا من الاسلوب التصويري وسيلة لنقل المشاهد التي يغري بها المتلقي فالشاعر في مثل هذا النص يبدو كطفل وهو في هذا الموقف على ما يذهب اليه النقاد يصور المناظر الطيعية (من كل زاوية وكأنه يرينا اياها رأي عينيه لأول مرة)[12] من طريق الحكاية والقصص ويتواصل الشاعر مع الطبيعة الاندليسة شأنه شأن غيره من شعراء الاندلس إذ تعد هذه الطبيعة بالنسبة له(المعين الذي تتفجر منه شـــاعريته وفي ارجائه يطوِّف خياله)[13] حين يحكي ما يتصف به الفرس من جمال إذ يستغرق الكثير من صفاته ولعل هذا هو أفضل الوصف لأن احسن الشعراء وصفاً (من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها)[14] .

وهذا هو الرمادي يصف الفرس حين يقصُّ علينا ذلك في قوله:[15](الطويل)

وأبلق من شرطِ الكميِّ لِزينةٍ واحرازِ ميدانٍ ويومِ قـــتالِ
فخُضرتهُ ثُلثٌ وثلثاهُ شهبةٌ فأخضَرَ قدّامٍ وأشهب تَـــالِ
لهُ لببٌ من شهبةٍ بينَ دُهمةٍ كعامِ صدودٍ بعدَ يومِ وصالِ
تدرَّعَ بدرَ التمِّ نوراً وظلمةً ولُبِّبَ من حيزُومهِ بهـــلالِ

إذ نراه يعدد ما لهذا الفرس الجميل القوي من أوصاف كثيرة حين يبدأ النص بـــ(واو رُبَّ) التي تعد إيذاناً بالوثوب والانطلاق الى المعاني[16] الاخرى التي يريد الشاعر حكايتها من خلال الوصف إذ يصور هذا الفرس بما يمتاز به فيشرط فيه شرطين يطلبهما الشـــجاع وهمـــا القوة والجمال ثم يحكي لنا الشاعر بالتفصيل معالم الجمال في هذا الفرس بنظام وتسلسل منطقي حين يحدد نسبة الالوان فيه واماكنها ومقدارها في أعضاء جسمه.

الاتجاه الغزلي:

يظهر هذا الاتجاه جلياً في شعر الرمادي وهذا اللون من الشعر ليس ممّا يتفرّد به الشـــاعر وانما جاء ضمن سلسلةٍ من الاسماء الشعرية التي حلّقت في سماوات الغزل خاصّـــة وان هـــذا الضرب من الشعر يعدُّ من الفنون الشعرية العربية القديمة[17] فالرمادي حين يتجه بقصصه الى

الغزل نراه يتلو علينا مكامن الجمال في معشوقه وكأنه يقف بين يدي المتلقي ليحكي هذه الحكاية الغزلية وهو يستمع اليه خاشعاً.

وهذا هو يتحدث عن الجمال متغزّلاً[18](رمل)

معجمُ الحُسنِ بخالين:على ثغْرةِ الاصغرِ والخدِّ الأجلْ
فالذي في الخدِّ طوراً آفلٌ تحتَ صُدغٍ فوقَ صُبحٍ قدْ رحلْ
يتجافى فإذا لاحظتهُ رجعَ الصّدغ إليهِ فانسدَلْ
فكأنّ الصدغَ يخشى عابثاً ثارهُ فهو عليهِ مُشتَمِلْ
وكأن المعتلي مبسمهُ جاءَ مِن عندِ أخيهِ للقُبلْ

بإسلوب قصصي لافت للنظر حين يتحدث عن الجماليات الحسّية التي تتعلق بهيئة المتغزّل بهِ،ومثل هذا ليس بالأمر الغريب إذ ان شعراء المشارقة جروا على هذه الطريقة من ذكر(صفات الخدود والقدود والنهود والوجوه والشعور والريق والثغور والارداف والخصور.....)[19].

والشاعر في هذا النص يتخذ من الخالين الذين ظهرا على ثغر وخدِّ المحبوب منطلقاً للتفصيل في قصة نسجها من خلال العلاقات التي اقامها الشاعر في خياله بين المحسوسات المختلفة كالثغر والصدغ والخالين بحيث دفعتنا الى الأصغاء والاعجاب به وهو يترنّم بهذه القصة حتى لنكاد نصدق هذا الادعاء حقاً ولا غرو في ذلك لأن الشاعر المبرّز هو من يتمكن من وصفه بحيث(يمثّله للحسِّ بنعتهِ)[20].

واذا كان الرمادي مبهوراً فيما سبق بأبعاضٍ من جسدِ محبوبه فأننا في موضع آخر نراه مبهوراً بكامل محبوبه لا ببعضٍ من جسده وذلك مما يتفق مع ما جُبلَ عليه الانسان(من محبّة الغزل.....فليس يكاد يخلو أحدٌ من ان يكون متعلّقاً منه بسبب)[21] وذلك حين يقول[22](مجزوء الكامل)

لمّا بدا في لازور دي الحريرِ وقَدْ بَهَرْ
كبَّرتُ منْ فرطِ الجما لِ وقلتُ:ما هذا بشرْ
فأجابني: لا تنكرُوا ثوبَ السماءِ على القمرْ

هذه صورة شعرية نسجتها مخيّلة الشاعر وفيها يقف مندهشاً أمام ذلك الجمال الآسر والسحر الذي لايقاوم انّه يقص علينا ما رآه من صورة شعرية أجادت بها قريحته لمن أصابه

بالذهول المفرط الذي خرج عن حدود المعقول عن قصدٍ طلباً للمبالغة التي(تبلغ بالمعنى اقصى غاياته)[23]

لقد قدّم لنا الشاعر جملةً من التفاصيل في مجموعةٍ من المشاهد المتسلسلة حين ظهر المحبوب بما هو عليه من سحر وحين فوجئ الشاعر العاشق بفرط جمال محبوبه الذي هدّأ من روع الرمادي والقى الطمأنينة في قلبه من خلال المحاورة التي نراها في البيتين الثاني والثالث.

وفي عودةٍ أخرى الى غزل هذا الشاعر نراه يحلّق في عالم أخروي غير عالمنا الذي نحياه كما في قوله:[24](طويل)

هلالٌ وفي غير السماءِ طلُوعهُ ورئمٌ ولكن ليس مسكنُهُ القَفرُ
تأملتُ عينيهِ فخامرني السُّكرُ ولا شكَ في أنّ العيونَ هي الخمرُ
أناطقه كيما أقولُ وإنّما أناطقهُ عَمداً لينتثر الدُّرُ
أنا عبدهُ وهو المليك كما إسمه فلي منهُ شطرٌ كاملٌ ولهُ شطرُ

حين يقصُّ علينا حكايته مع من احبَّ الحكاية التي تقوم في جملتها على الخيال المحض فالمحبوب هلال لكنه لا يطلع في السماء ورئمٌ ولكنه لا يسكن القفاز، ويأخذنا الشاعر في رحاب خياله ونحن نستمتع بما يقص إذ يتأمل عيني من يهواه فيأخذه السكر وتجتاحه النشوة التي تفيض من هاتين العينين وتطرب اسماعه لما يطرقها من درٍّ منشور.

انه جمال بارع وسحر فيّاض ومعشوق متفرد أوحدٌ لا شبيه له في هذا الكون ولأجل هذا كله ينهي الشاعر قصصه الغزلي باعلانه الأستسلام والعبودية لهذا الذي احبه.

وفي أنموذج آخر يمتطي الرمادي صهوة القصص متجهاً به صوب الغزل مثل قوله:[25](سريع)

وربَّ يومٍ[26]قيظةُ مُنضِجُ كأنهُ أحشاءُ ظمآنِ
ابرزَ في خدَّيه لي رشخهُ طلّاً على وردٍ و سوسانِ
فكان في تحليل ازرارهِ اقودَ لي من إلفِ شيطانِ
فتَّحتِ الجنّةُ منْ جَيبهِ فَبِتُ في دعوةِ رضْوان

في يومٍ حارٍّ يتكرر كثيراً تتمثل مشاهد قصصية يقدّمها الشاعر لنا حين يتغزل بمعشوقه إذ يعرض ما يكون لهذا المحبوب في مثل هذا اليوم من مفارقة حين يعاني من شدّة الحر فيرشح خدَاه عرقاً يراه الشاعر طّلاً على السوسان والورد وحين يحلُّ آزارهُ إجتناباً لقساوة الحر وطلباً لإراحة النفس يتلذذ الشاعر غاية التلذذ الشيطاني فالرمادي في هذا القصص الغزلي انما يطابق

حالتين اثنتين حالة التعب المزرية التي يعاني منها المحبوب وحالة المتعة التي ينتشي بها هو وكأنه امام الجنّة وقد فتِّحت ابوابها.

لقد كان الشاعر موفقاً الى حدٍّ ما في هذا النص الذي إشتمل على صورٍ متلاحقةٍ زادتها جمالاً تلك التفاصيل التي تضمنتها هذه الصور بأوصافها وأحوالها المختلفة لأن الوصف الدقيق(انما هو ذكر الشي بما فيه من الأحوال والهيئات)[27] في نسقٍ تتساوق فيه الألفاظ والمعاني لأن الالفاظ على وفق ما يذهب اليه النقاد(أجساد،والمعاني أرواح فإذا قويت الالفاظ فلتقوَ المعاني ليحمل بعضها بعضاً)[28].

الاتجاه المدحي:

وفي هذا الاتجاه نجد التلوين القصصي بادياً للعيان في غير إنموذج للشاعر الرمادي فهو يقدّم مدائحه على خيطٍ قصصي واضح وكأننا نصيخ أسماعنا اليه وهو يحكي لنا هذا القصص المدحي الذي يضمُّ ضروباً من المعاني في هذه الامداح التي تقوم أساساً على إعتماد الفضائل التي يتصف بها الناس من مثل(العقل والعفّة والعدل والشجاعة)[29].

هذا هو يقص لنا في معرض مدحه لأحدهم[30] قائلاً:[31](كامل)

حـــازتْ قبـــائلهم لغـــاتٍ جمعـــتْ فـــيهمْ وحـــازَ لغـــاتِ كـــلِّ قَبيـــلِ
فالشـــرقُ خـــالٍ بعـــدهُ فكأنمـــا نـــزلَ الخـــرابُ بربعـــهِ المـــأهولِ
جمعـــوا بغيبتـــهِ ومـــوتِ شـــيوخهِ عـــنهمْ ولمّـــا يظفـــروا ببديـــلِ
مـــذْ جـــاءهم وهـــم بليـــلِ همـــومُهم مِنـــهُ فصـــاروا فـــي دُجـــىً موصـــولِ
فكأنّـــهُ شـــمسٌ بَـــدَتْ فـــي غـــربَنا وتغرَّبـــت فـــي شـــرقهمْ بـــإفولِ

حكاية تتضمن أهمية هذا الرجل في جانبه العلمي بمعانٍ جزلةٍ والفاظ صافية من طريق المبالغة التي(تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياتهِ)[32] حين يقدّم لنا معاني متعددة تمنحنا صورة واضحة عن الممدوح بشكل منتظم ومتسلسل فالممدوح يقابل جمعاً من القبائل بحيازته منفرداً لغاتها كلها وبنزول الخراب في الشرق إثر رحيله الذي لا يمكن لأهل الشرق بعده أنْ يجدوا عوضاً وبديلاً عنه فأغاظ من أغاظ حتى أمست حياتهم دياجي موصوله وسرّ من سرَّ حتى اشرق في بلاد الاندلس.

ان الشاعر في هذا النص المدحي وضّح لنا ما كان عليه هذا الاديب المشرقي من الحال حيث طابقت هذه الاوصاف حقيقة الرجل ومنزلته الكبيرة إذ لم يبعد في سرده لهذه الاوصاف عما هو فيه إذ جاء مدحه له بما يجب أن يكون عليه الكاتب وقد أشار النقاد القدامى الى ذلك

ومنه ما ذهب اليه أسامة بن منقذ حين قال:(يمدح الامير والوزير بالحزم والسياسة،كما يمدح الملك بالعزم والرياسة،ويمدح الكاتب بالذكر والفكر والذكاء والذهن.....)[33].

وفي أنموذج آخر يقصُّ لنا وهو يمدح ما كان لهؤلاء الممدوحين من أحوال وهيئات وصفاتٍ تحلّق بهم في سماوات المجد والرّفعة:[34](الطويل)

إذا اعتزلوا كانوا ملوكاً إعزّةً وفي الحرب أعوان المنايا الغواشمِ
لهم أوجهٌ غُرٌّ تنمنمُ في الوغى كأنْ تغشتَّها أكفُّ الرَّواقمِ
كأن كلوم الطعنِ والضربِ بهجةٌ على الوجناتِ الغُرِّ نَقشُ الدراهمِ

فهم إذا ما اعتزلوا عمّا هم عليه مستقبلاً[35] فلن تُثلمَ لهم كرامة أو تفتَّ عضد،وحين ينادي منادي الحرب نراهم أعوان منایاها ويتواصل الرمادي معنا في الاخبار ليحدثنا عن إشراق وجوههم وهم في أتون الحرب حتى لكأنهم يستقبلون الطعن ببشرٍ وطلاقة إذ لا يجدون فيه إلا العزة والفخار.ويقصُّ لنا الرمادي حكاية اولئك الناس الذين يمدحهم بقوله: [36](الطويل)

وما استلأمُوا حرزاً ولكنَّ لأمهُمْ برودُهمُ في المعركِ المتلاحمِ
فآبوا بها سودَ الثيابِ كأنَّهمْ وقد قتَلُوا أعداهم في مآتمِ

حين يقدِّم لنا سرداً بما هم عليه من الهيئة فهو ينفي عن كل مقاتل منهم استعمال الحرز الذي يقيه خطر الرماح والسيوف ولكنه يستدرك فيقول مؤكداً[37]بـ{لكن} انهم لا يلبسون الحرز الحقيقي وانما برودهم هي الحرز الذي يلبسونه وان هذه البرود تكون مصطبغة بالسواد عندما يرجعون وكأنهم أقاموا لأعدائهم مأتماً قتلوهم فيه.

لقد أخبرنا الرمادي عن أمرين مهمين يتعلقان بهؤلاء المقاتلين الاول هو بيان حالهم من الشجاعة والاقدام حين اقتحامهم سوح القتال مجرَّدين من كل ما يقيهم سوى اسلحتهم وبرودهم .والامر الثاني هو إيابهم منتصرين على اعدائهم وكأنهم كانوا في مأتمٍ أقاموه لهم فأتوا عليهم بسهولةٍ ويسر.

الاتجاه الديني:

ويأخذ الاسلوب القصصي إتجاهاً آخر هو الاتجاه الديني حينما يتحدث الشاعر عن موضوعات شعرية مختلفة كأن يمدح من يمدحه أو أن يدافع عن الخمرة دفاع مستبسل وفي مثل هذا الاتجاه يبلغ التلوين القصصي غايته القصوى حين يستمدُّ الرمادي قصصاً حقيقياً لرموز دينية كبيرة ولعل أغلبها مما يرويه القرآن الكريم.

ومن ذلك قوله وهو يمدح شخصاً مجهولاً يقوم على اساس التركيز القصصي الذي يجمع بين هذا الاسلوب والأخذ من القصص القرآني:[38](الطويل)

يقودُ حنودَ* الجوِّ والعـرشِ والثـرى فأعـداؤهُ معـذورةٌ فـي الهـزائمِ
ملائكـة الـرحمن تحـت لوائـهِ ومـنْ تحتـهِ جنـدُ النُسـورِ القشـاعِمِ
كـأن سـليمان بـن داود* *تحتهـا تُظلُّلـهُ مِـنْ حـرِّ تلـك السَّـمائمِ

إذ نستمع اليه وهو يخبرنا بقصّة هذا الرجل في معرض المدح مبيناً مقدار قوّته التي لا تردُّ لأنه يقود كل عساكر الجوِّ والعرش والثرى فهم بين مَلَكٍ ربّاني ونسرٍ قشعم يأتمرون بأمره ويتواصل القصص فيخرج من عالمه الواقعي المرتبط بالبشر الى عالم آخر روحـاني مـرتبط بالسماء حيث المشابهة بين هيئة عظمة الممدوح وهيئة وعظمة نبي الله سليمان بن داود مستعيناً بقصة هذا النبي الواردة في القرآن الكريم : ﴿ ***حـين يقـول سـبحانه وتعـالى فـي كتابـه العزيز:(وحُشِرَ لسليمنَ منَ الجنِّ والإنسِ والطَّيرِ فهمْ يُوزَعون)*** ﴾ [39].

ان الرمادي يحلق في فضاءات الخيال حين يقصُّ علينا ما كان يفعله هذا الممدوح الذي يملك من ألأرادة ما لايملكه إلا الانبياء من باب الأغراق والغلو الـذي يزيـد الـنص جمـالاً لأنّ(أحسنَ الشعرِ أكذبه)[40].

والشاعر في هذا النص لم يكتفِ بأسلوب القصص في مدحهِ حسب وانّما أوغل كثيـراً في القصص عندما أشار بوضوح الى قصة النبي سليمان لا بل أخذ مضامينها لتكون المحـور الاساس الذي تقوم عليه فكرة هذه الابيات التي جاءت متسلسلة ومرتبة بحيـث يأخـذ بعضـها برقاب البعض الآخر حتى بدا النص متماسكاً لا انفكاك لعراه ولا انفصام لأجزائه.

ومن ذلك ايضاً قوله في الدفاع عن معاقرة الخمرة التي(أصبحت بالنسبة له تمثل موقفـاً حياتياً لا يحيد عنه بل إنه مستعدٌ أنْ يقف متحدياً مدافعاً عنه إذا إضطر)[41] لذلك ان الرمـادي يبلغ ذروة التركيز القصصي في هذا الاتجاه حين يعـرض لنـا دفاعـه عـن الخمـرة مـن طريق(المناقشات الجدلية والمنطقية بين الاشياء التـي تتميـز بأسـلوب قصصـي وسـخرية مرّة)[42]مستعيناً بالقصص القرآني.

هذا هو يدافع عن تعاطي الخمر بأسلوبٍ قصصي ضمّنه معاني القصص القرآني فـي قوله:[43](الطويل)

أفي الخمرِ لامـتْ خلّتـي مسـتهامها كفـرتُ بكأسـي إنْ أطعـتُ ملامهـا
لمحمولةٍ في الفُلك مـن جنّـةِ المُنـى قد أوصـي نـوحٌ غَرسـها وضُـمامَها

فخادعـــة إبلـــيسُ عنهـــا لعلمـــهِ بهـــا فـــرأى كتمانهـــا واغتنامَهـــا
فَفـــازَ بثلثيهـــا ونـــوحٌ بثلثِهـــا ولولا مَغيبـــي عنـــهُ لـــمْ يـــكُ رامَهـــا
لـــهُ حـــظٌ انثـــى وهـــو حـــظٌ مـــذّكرٌ قليـــلٌ لعينـــي أنْ تُطيـــلَ إنســـجامها
وإنـــا لـــورَّاث وقـــد مـــات جَـــدُّنا غَبينا،وانَّـــا لا نجيـــز اقتســـامها

فالرمادي يخالف خلّته في ملامتهم له فيذهب الى حدِّ ما يسميه الكفر بكأس الخمرة التي تمثّل عنده رمزاً نورانياً مقدّساً[43] من خلال تلاعبه بالألفاظ وتحايله في المجادلة إذ ينكر علـى أخلائه ملامتهم له على شرب الخمرة التي اصلها العنب تلك الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام [44] وكانت سبباً في خروجه وزوجه من الجنّة في إشارة واضحة من الشاعر الى تلك القصة التـي ذكرها القرآن الكريم حين قال ﷻ : **(وقُلنا يئادم إسكُنْ انت وزوجُكَ الجنَّة وكُلا منهـا رغَـداً حيثُ شئتما ولا تقربا هذهِ الشجرةَ فتكونا من الظلمينَ)**[45].

كما انه يشير الى قصة أخرى هي قصة نوح***وحادثة الطوفان التي حمل فيها من كلِّ زوجين إثنين وقد ذكرها القرآن الكريم حين قال ﷻ :**(حتَّى إذا جاءّ أمرنا وفَارَ التنّـورُ قُلنـا احملْ فيها من كلٍّ زَوجينِ إثنينِ وأهلَكَ الاَّ من سَبَقَ عليهِ القولْ ومنْ ءامنَ ومَا ءامنَ معهُ الاّ قليلٌ)**[46] هذا فضلاً عن استمداده لمعاني الدستور الاسلامي الذي يخص الميراث حين تحـدث الشاعر عن منازعة إبليس لنوح عن اصل العنب بعد نزوله من السفينة تلك المعاني التي وردت في قوله تعالى: **(يُوصيكُمُ اللهُ في اولدكمْ وللذكرِ مِثلُ حظِّ الأنثيينِ...)**[47] ان هذه القسمة لأصل العنب بين إبليس ونوح قسمة ظالمة لأن حظَّ آدم منها كان نصف حظ إبليس على الرغم من انّ لآدم الضعف لكونه ذكراً على وفق ما أشار اليه القرآن الكريم،والرمادي وأضرابه هم الأحفـاد والورّاث لا يقبلون بهذه القسمة.لقد أفاض الشاعر في قصصه فقدّم لنا في مقطوعته مجموعـة من القصص إذ اشار الى شجرة العنب التي اكل منها آدم في الجنّة وأُخرج بسببها وحملها نوح الذي أوصي بغرسها في فُلكه وخادعه إبليس عنها ففاز بثلثيها ونوح بثلثها وهي قسمة منافية لما ورد في القرآن الكريم وعليه فإنها تعدُّ قسمة غير مقبولة.ان كل هذه القصص والمعاني التـي استقاها الرمادي من القرآن الكريم إنما جاءت في معرض الدفاع عن معاقرة الخمرة كما انهـا مثّلت من الناحية الفنية دفقاً قصصياً عزّز الاسلوب القصصي الذي نهجه الشـاعر فـي هـذه المقطوعة فبلغ بذلك الطاقة القصوى من التركيز القصصي.واذا كان الرمادي فيما سـبق قـد إستمد مااستمدّه من القرآن الكريم فإنه قد يلجأ الى الأخذ من سِيَرِ الرموز الدينية المعروفة ليدافع عن الخمرة ومعاقريها وليعزّز القصصية في قصيدةٍ حين أمر أحد الحكّام[48] الاندلسين بإراقـة الخمور في سائر جهات الاندلس:[49](وافر)

تحـــرِّيتمْ بـــذاكَ العـــدل فيهـــا بـــزعمِكُمُ فـــإنْ يـــكُ عـــنْ تحـــرِّي
فإن أبـــا حنيفـــة **** وهـــو عـــدلٌ وفـــرَّ عـــنِ القضـــاءِ مســـيرَ شـــهرِ
فقيـــــهٌ لا يُدانيـــــهِ فَقيـــــهٌ إذا جـــاءَ القيـــاسُ أتـــى بِـــدرِّ
وكـــانَ مـــن الصـــلاةِ طويـــلَ ليـــلٍ يقطِّعُـــه بـــلا تغمـــيضِ شـــفْرِ
وكـــانَ لـــهُ مـــن الشُّـــرابِ جـــارٌ يواصـــلُ مغربـــاً فيهـــا بفجـــرِ
وكـــان إذا انتشـــى غنّـــى بصوت المضاعِ يسجنهِ مـن آل عمـرو
"أضـــاعوني وايَّ فتـــىً أضـــاعوا ليـــومِ كريهـــةٍ وسَـــدادِ ثغـــرِ"
فغيَّـــب صـــوتَ ذاك الجـــارِ ســـجنُ ولـــمْ يكـــنِ الفقيـــهُ بـــذاكَ يـــدري
فقـــالَ وقـــد مضـــى ليـــلٌ وثـــانٍ ولـــم يســـمعهُ غنّـــى ليـــتَ شـــعري
أجـــاري المؤنســـي لـــيلاً غنـــاءً لخيـــرِ قطـــعُ ذلـــكَ أمْ لشـــرِّ
فقـــالوا إنـــه فـــي ســـجنِ عيســـى أتـــاه بـــهِ المحـــارسُ وهـــو يســـري
فنـــادى بالطويلـــةِ وهـــيَ ممَـــا يكـــون برأســـهِ لجليـــلِ أمـــرِ
ويمـــمَّ جـــارَهُ عيســـى بـــن موســـى فلاقـــاهُ بـــأكرامٍ وبِـــرِّ
وقـــالَ أحاجـــةٌ عرضـــتْ فـــإنّي لَقاضـــيها ومُتبعهـــا بشـــكرِ
فقـــالَ ســـجنتَ لـــي جـــاراً يُسمّـــى بعمـــروٍ قـــالَ : يُطلـــقُ كـــلُّ عـــمرِو

إن الرمادي يتجه بقصصه إتجاهاً دينياً بالرغم من التضاد الظاهر بين موضوع القصيدة الذي جاء في الدفاع عن الخمرة وشاربيها فيذهب الى الاستعانة بالقصص الديني ولعل أبا حنيفة صاحب المذهب الحنفي المعروف يكون بطل هذه القصة التي يستغرق شاعرنا الرمـادي كـلَّ تفاصيلها ليعزز بها رأيه ويسدِّد قوله.فهذا أبو حنيفة فقيه عادل عالم مقيم للصلاة له من الجيران من كان يشرب الخمرة ويغنّي وقد إعتاد أبو حنيفة على سماع ذلك الغناء يومياً وذات يوم ينقطع ذلك الصوت فيسأل عن السبب ليجاب بأن جاره ملقىً في غياهب السجن فما يكون مـن أبـي حنيفة الا ان ينطلق ليشفع لجاره ويخرجه من السجن اكراماً لوشيجة الجوار.

هذه القصة أضفت جوّاً لطيفاً على النص الشعري فأضاءت جوانبه وجعلت المتلقي يبلغ من التجاوب مع الشاعر فضلاً عمّا أوجدته من الترابط بين اجزاء ومفاصل النص الشعري الذي يؤكد أثر السرد القصصي في توحيد هذا النص وتعزيز تماسكه بحيث لا تنفكُّ أيعاضـه عـن الاخرى.

الهوامش :

(1)من حديث الشعر والنثر،طه حسين،الطبعة الاولى،دار المعارف،مصر،1936م/15.

(2)النقد الادبي،احمد امين،الطبعة الرابعة،مطابع دار الغندور،بيروت1967م،دار الكتاب العربي،الجزء الاول/97.

(3)المصدر نفسه/118.

(4)نظرات جديدة في الفن الشعري،ابراهيم العريض،الطبعة الثانية،مطبعة حكومة الكويت،1974م،الجزء الثاني/232.

(5)المصدر نفسه/232.

(6)قضية الشعر الجديد،الدكتور محمد النويهي،الطبعة الثانية،دار الفكر،1971م/352.

(7)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي،390-456هجرية،تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد،الطبعة الرابعة،دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة،بيروت،1972م،الجزء الثاني/294.

(8)المصدر نفسه/295.

(9)شعر الرمادي يوسف بن هارون،شاعر الاندلس في القرن الرابع الهجري-جمعه وقدّم له ماهر زهير جرّار،الطبعة الاولى،مطبعة المتوسط،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1980،ق9.

(10)الطبيعة في الشعر الاندلسي،جودت الركابي،دون ذكر طبعة،مطبعة جامعة دمشق،1959م/46.

(11)شعر الرمادي،ق 15.

(12)نظرات جديدة في الفن الشعري/197.

(13)فن الوصف وتطوره في الشعر العربي،ايليا الحاوي،الطبعة الثانية،دار الكتاب اللبناني،بيروت،دار الكتاب المصري،القاهرة،1987م/236.

(14)نقد الشعر قدامة بن جعفر المتوفى سنة320هجرية،تحقيق كمال مصطفى،الطبعة الثالثة،مطابع الدجوي،القاهرة،1978م/118-119.

(15)شعر الرمادي،ق 98.

(16)وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية،دكتور نوري القيسي،دون ذكر طبعة،دار الكتاب للطباعة والنشر، الموصل،1974م/6.

(17)في الشعر العباسي-الرؤية والفن،الدكتور عز الدين إسماعيل،الطبعة الثانية،دار المعارف، القاهرة، 390/1980.

(18)شعر الرمادي،ق84.

(19)العمدة،جـ2/296.

(20)نقد الشعر/119.

(21)الشعر والشعراء،ابن قتيبة المتوفى سنة(276)هجرية، الطبعة الاولى،قسطنطينية،عالم الكتب،بيروت/7.

(22)شعر الرمادي،ق140.

(23)كتان الصناعتين،الكتابة والشعر،ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري،تحقيق الدكتور مفيد فميحة،الطبعة الثانية،دار الكتاب العلمية،بيروت،1989م/403.

(24)شعر الرمادي،ق42.

(25)المصدر نفسه،ق130.

(26)يوم يعني هنا الكثرة لأنه مسبوق بـ(ربَّ)قال ابن هشام:انها تفيد الكثرة في بعض الاحيان. عن ذلك ينظر:مغني اللبيب عن كتب الاعاريب،ابو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبدالله بن هشام الانصاري،المصري،تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد،دون ذكر طبعة،مطبعة المدني،القاهرة،الجزء الاول /134.

(27)نقد الشعر/118.

(28)البديع في نقد الشعر،اسامة بن منقذ،تحقيق الدكتور احمد احمد بدوي،الدكتور حامد عبدالمجيد،مراجعة ابراهيم مصطفى،دون ذكر طبعة،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،1960م/296.

(29)العمدة،جـ2/131.

(30)هو ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي عند دخوله الاندلس سنة 330هـ–شعر الرمادي/111.

(31)المصدر نفسه،ق105.

(32)كتاب الصناعتين/403.

(33)البديع في نتقد الشعر/292.

(34)شعر الرمادي،ق113.

(35)لأن(إذا للمستقبل مضمّنة معنى الشرط غالباً)،همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية،الامام جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة(911)هجرية،عُني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني،دون ذكر طبعة،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،الجزء الاول/206.

(36)شعر الرمادي،ق114.

(37)تفيد{لكن}معنى {الاستدراك قيل والتوكيد}،همع الهوامع،جـ1/132.

(38)شعر الرمادي،ق112.

* هكذا وردت في مجموع شعر الرمادي وربما يكون الصواب(جنود).

** هو:(سليمان بن داود بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نخشون بن عمينا أداب بن أرم بن حصرون بن قارص بن يهوذ ابن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم ابي الربيع بني الله ابن نبي الله).قصص الانبياء،للأمام ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي،حققه وخرّج احاديثه لجنة التحقيق والنشر في دار الفيحاء،خرّج احاديثه طالب عوّاد،الطبعة الاولى،دار الفيحاء للنشر والتوزيع،دمشق،2009م/469.

(39)النمل/17.

(40)العمدة،جـ2/61.

(41)شعر الرمادي/42.

(42)المصدر نفسه/41

(43)المصدر نفسه،ق107.

(44)شعر الرمادي/42.

(45)قصص الانبياء/26.

(46)البقرة/35.

***هو(نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوع–وهو إدريس بن يرد بن مهلاييل بن قنين بن أنوش بن شيت بن آدم أبي البشر عليه السلام).قصص الانبياء/75.

(47)هود/40

(48)النساء/11.

(49)هو الحكم المستنصر الذي طلب قطع الخمرة في الاندلس وإراقتها وإستئصال شجرة العنب،شعر الرمادي/72.

(50)المصدر نفسه،ق45.

****كان ابو حنيفة صاحب المذهب الحنفي عالماً جليلاً ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه ومن تلامذته البارزين ابو يوسف الذي صنَّف الكتب في أصول الفقه على مذهبه وأملى المسائل وبثّ علم أبي حنيفة في أرجاء الأرض.وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان،لأبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان،تحقيق الدكتور إحسان عباس،دون ذكر طبعة،دار الثقافة،بيروت،المجلد السادس/380،381،382.

مصادر البحث ومراجعه:

1–القرآن الكريم.

2–البديع في نقد الشعر،أُسامة بن منقذ،تحقيق الدكتور احمد احمد بدوي،الدكتور حامد عبدالمجيد،مراجعة ابراهيم مصطفى،دون ذكر طبعة،مطبعة البابي الحلبي،القاهرة،1960م.

3–شعر الرمادي يوسف بن هارون،شاعر الاندلس في القرن الرابع الهجري–جمعه وقدّم له ماهر زهير جرّار،الطبعة الاولى،مطبعة المتوسط،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1980م.

4–الشعر والشعراء،ابن قتيبة المتوفى سنة(276)هجرية،الطبعة الاولى،قسطنطينية،عالم الكتب،بيروت.

5–الطبيعة في الشعر الاندلسي،جودت الركابي،دون ذكر طبعة،مطبعة جامعة دمشق،1959م.

6–العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي،390–456هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد،الطبعة الرابعة،دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت،1972م،الجزء الثاني.

7-فن الوصف وتطوره في الشعر العربي،ايليا الحاوي،الطبعة الثانيــة،دار الكتــاب اللبنــاني، بيروت،دار الكتاب المصري،القاهرة،1987م.
8-في الشعر العباسي-الرؤية والفن،الدكتور عزالدين اسماعيل،الطبعة الثانيــة،دار المعــارف، القاهرة،1980م.
9-قصص الانبياء،للامام ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي،حقّقه وخــرّج احاديثــه لجنــة التحقيق والنشر في دار الفيحاء،خرّج احاديثه طالب عوّاد،الطبعة الاولى،دار الفيحاء للنشر والتوزيع، دمشق،2009م.
10-قضية الشعر الجديد،الدكتور محمد النويهي،الطبعة الثانية،دار الفكر،مصر،1971م.
11-كتاب الصناعتين،الكتابة والشعر،ابو هلال الحسن بن عبدالله بن ســهل العســكري،تحقيق الدكتور مفيد قميحة، الطبعة الثانية، دار الكتاب العلمية،بيروت،1989م.
12-مغني البيب عن كتب الاعاريب،ابو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بــن احمــد بــن عبدالله بن هشام الانصاري،المصري،تحقيق محمد محيــي الــدين عبدالحميــد،دون ذكــر طبعة،مطبعة المدني،القاهرة،الجزء الاول.
13-من حديث الشعر والنثر،طه حسين،الطبعة الاولى،دار المعارف،مصر،1936م.
14-نظرات جديدة فــي الفــن الشــعري،ابراهيم العريض،الطبعــة الثانية،مطبعــة حكومــة الكويت،الكويت،1974م،الجزء الثاني.
15-النقد الادبي،احمد امين،الطبعة الرابعة،مطابع دار الغندور،بيروت،دار الكتاب العربي،الجزء الاول.
16-نقد الشعر،قدامة بن جعفر المتوفى ســنة(320)هجريــة،تحقيق كمــال مصــطفى،الطبعة الثالثة،مطابع الدجوي،القاهرة،1978م.
17-همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية،الامام جلال الدين عبدالرحمن بن ابــي بكرالسيوطي المتوفى سنة(911)هجرية،عُني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعســاني، دون ذكر طبعة،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،الجزء الاول.
18-وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية،الدكتور نوري حمودي القيسي،دون ذكر طبعــة،دار الكتاب للطباعة والنشر،الموصل،1974م.
19-وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان،لأبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان،تحقيق الدكتور إحسان عباس،دون ذكر طبعة،دار الثقافة،بيروت،المجلد السادس.